ثقافة النشء
مسلمون أوائل
٢

عبد الودود الأمين

الفارس المغوار

المقداد بن الأسود الكندي

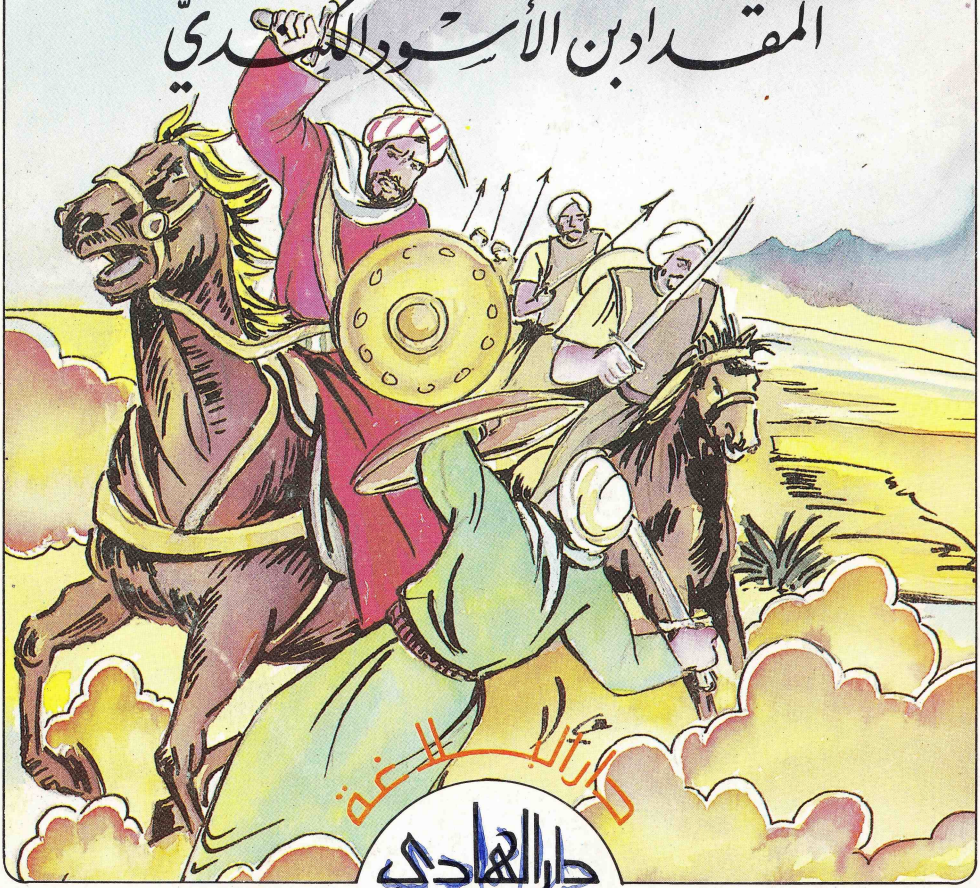

دار البلاغة
دار الهادي

مكتبة نرجس PDF
www.narjes-library.blogspot.com

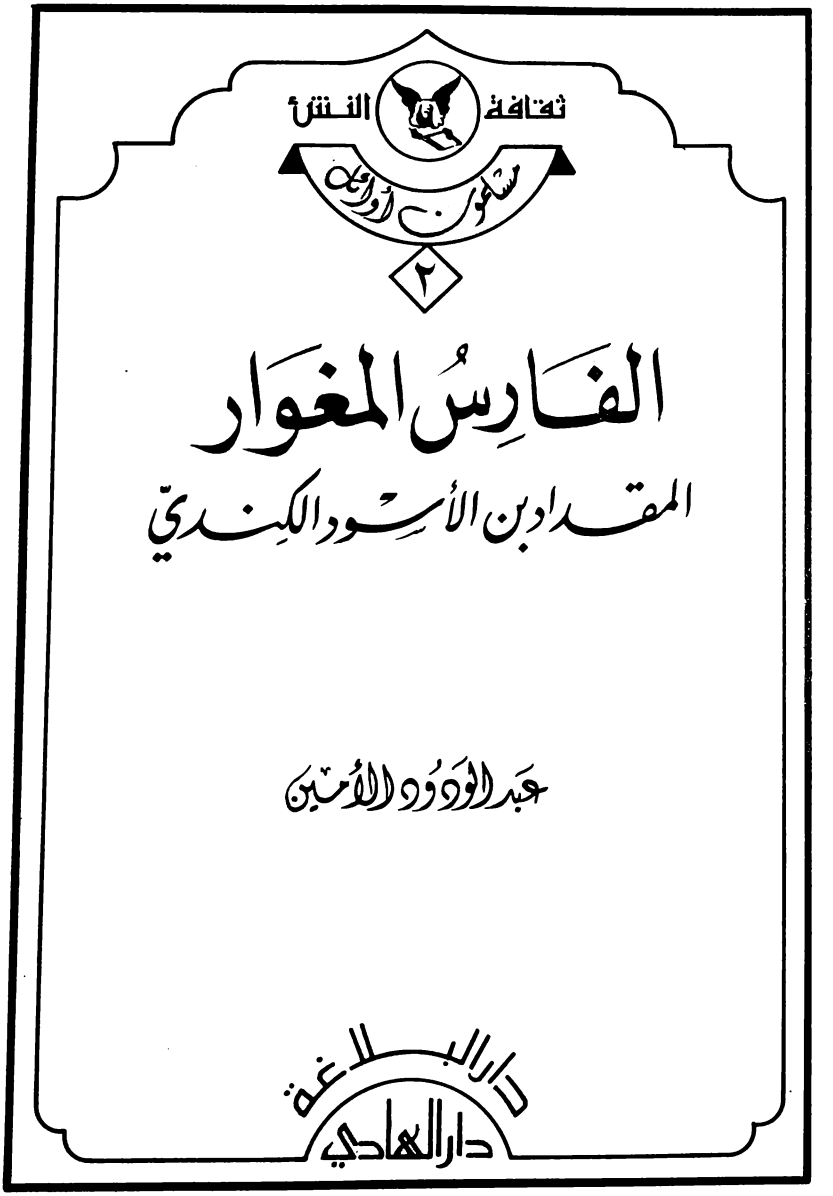

ثقافة النشء

سلمون أوائل

٢

الفارس المغوار

المقداد بن الأسود الكندي

عبد الودود الأمين

دار البلاغة
دار الهادي

بسم الله الرحمن الرحيم

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

دار الهادي - دار البلاغة - للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون وفاكس، ٨٣٤٢٦٥ - ٣١٧٤٢٥ - تلكس ٧٧٧، ٢٢٥٩٧-MCS بلاغ.
ص.ب: ٢٥/٢٨٦ + ٢٥/١٦ غبيري - بيروت - لبنان.

رسوم: جمال درويش

إشتدّ بالمقداد التعب ، وبدا الأرهـاقُ على وجهه الأسمر الذي لوّحته الشمس . لقـد كانت تمـارينُ ذلك الأصيل أكثر وأصعب من أن يتحمَّلها جسده الفتيّ ، لكنه أصر على أن يستمر في أدائها ، وإلا كيف سيصبح بطلاً من أبطال الوغى تجري أخبارُ بطولاته على كـلِّ لسان ، إن هذا لن يحصل ما لم يبذل جهداً لا طاقة لفتى في سنِّه على القيام بمثله . لكنّ أباه الذي كان يدرِّبه ، توقف ، وطلب من ابنه أن يستريحا بعض الوقت ، وغداً يكملان التمارين .

دخـلا الخيمـة ، واستلقى الأب في قيلولـةٍ ، في حين دخل المقدادُ في تأملاتٍ تعوَّدها ، وكانت تذهب به بعيداً كلما خلا بنفسه . وفيما هو كذلك ، سمع صهيل المهرة الشقراء ، فقفز إلى خارج الخيمة ، راكضاً إليها ،

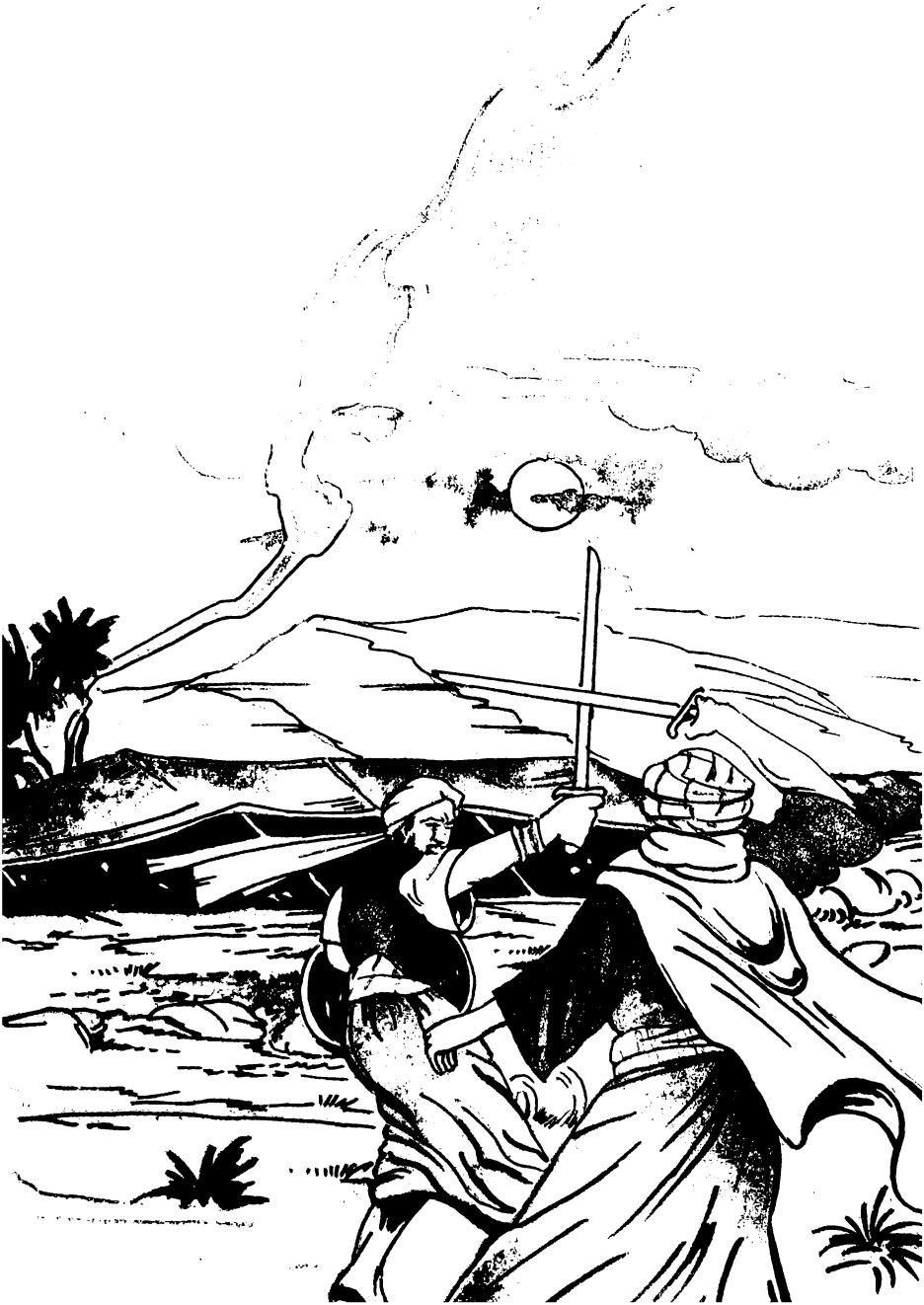

كانت المهرةُ المربوطة إلى وتد خيمة « الضِّيافـة » تضرب التراب بحافرها ، وتئنُّ بحزن . وسرعان ما عرف المقدادُ سرّ حزنها ، فبـادر إلى فكِّ رسنهـا ، فانـطلقت تخبُّ في الأرض ، وتدور حول الخيام كفراشـةٍ زاهية الألوان . .

وقف المقـدادُ يتأملهـا ، وقلبه يـطير معهـا ، ولم يحسّ بوجود أبيه الذي وقف يراقبه بحبٍّ وشغف ، وهو يرى فيه شبابه الذي ولّى . . .

وضع الأبُ يده بحنـان على كتف ولده ، قـائلاً : أتحبها كثيراً ؟

فأجاب : أتمنَّى أن أمتطي صهوتهـا ، وأذهب بها بعيـداً إلى ما وراء الأفق ، أطـوي الصحراء وأقـول لهـا خذيني إلى مولد الشمس ، كي أطارد النجـوم بها . . . ألا ترى ، يا أبتاه ، كم هي رشيقة وفاتنة !

فقـال الأب : ولمـاذا ، تحلم ، يـا بنيّ ، دائمـاً بـالغربـة . . . وتتحدَّث عن الهـروب من هذه المـرابـع الجميلة ؟

فأجاب الإبن : إنها ليست مرابعنا . وهذه القبيلة ليست قبيلتنا ، وأنا أحسُّ بالهوان بين هؤلاء الناس رغم أنهم أخـوالي ، فكم حلمت بـامتـطاء هـذه المهـرة الشقراء . . . ولكنني لا أستطيـع . . . ذلك محـرّم عليّ

لأنها ملكٌ لشيخ القبيلة ، وأنا لست منها . .

وأضاف بعد صمت وذهول : ألا تريد أن تذكر لي

سبب تركنا قبيلتنا وتحالفنا مع هذه القبيلة !؟ . لقد طال صمتك يا أبي .

فقـال الأب : بلى ، يا ولـدي ، لن أخفي عليك الأمر بعد الآن ، لقد أصبحت شاباً . إننا يا حبيبي ، لا نستطيع أن نعود إلى قبيلتنا . لأنهم يطلبوننا بدم وعودتنا إلى ديارنا تعني القتل المحتم لأنهم سيثأرون منّا . .

فسـأل الإبن : ولماذا كـلُّ هـذا الحقـد ؟ ولمـاذا يريدون الثأر ؟

فأجاب الأب : لقد كنت مثلك في شبابي ، أحبّ الفروسية وضرب السيف وطعن الرمـح . . تعلمت فنون القتال وأتقنتها منذ صغري ، وكنت أطمح في أن أصبح فارس القبيلة . وكان جميع أقراني يهابونني ، ويعتبرونني فـارسهم الذي لا ينـازع . وجاء ذلـك اليوم المشؤوم ، عندما تشاجرت مع أحد فتيان الحي ، فشتمني ، فبادرته بضربة سيف . كنت أريـد أن أجرحـه فقط . لكن منيَّته كانت في تلك الضربة . وعندئذٍ ركبت فرسي ، وغادرت القبيلة من فوري ، وتحالفت مع هذه القبيلة .

صمت الأب وبدا الأسىٰ علىٰ وجهه ، فتمتم الإبن بحزن : واأسفاه . . لن نعود إلى قبيلتنا أبداً . . .

مرت الأيامُ ، وكاد انشغال المقداد بتعلم الفروسية وفنون القتال ينسيه ذلك الحديث وما سببه له من كرب وكدر ، ولوعة علىٰ فقدان العشيرة ، فهمُّه الآن مقتصرٌ على أن يصبح بطلاً .

وسرعان ما شبَّ المقداد فارساً مغواراً واكتملت رجولته ووهبه الله صورة البطل المقدام . فها هي قامته تسابق النخل في طولها وشموخها ، وقد تباعد ما بين منكبيه عرضاً ، وبرقت عيناه الواسعتان بالأنفة والحمية والشهامة .

لكن حلمه ، حلم الفتوَّة ، مازال يراوده حتىٰ ، وإن أصبحت تلك المهرة الشقراء فرساً طال شعرُ غرتها الأشقر حتىٰ غطىٰ رقبتها الطويلة الرائعة .

طال انتظاره ونفذ صبره عن تحقيق حلم الصبا ، فدخل ذات يومٍ ، مجلس شيخ القبيلة ، والقوم عنده جلوس ، وطلب منه أن يحقق له تلك الرغبة التي ما

انفكت تراوده منذ فترة طويلة ، فيسمح له بركوب الفرس الشقراء .

ومـا أن سمـع شيـخ القبيلة طلب المقـداد حتى احمـرت عيناه وصـاح به : وكيف تجـرؤ ، وأنت طريـد قومك !؟

أحسّ المقداد بالاهانة كنصـل خنجرٍ يغـوص في أحشـائـه ، ولم يـدر إلا ويـده تمسـك مقبض السيف ، وتستله من غمده .

وما ان رأى أبوه ذلك حتى رمىٰ بنفسه عليه وطرحه أرضاً ، وهو يصرخ ويستغيث ، راجياً من شيخ القبيلة أن يغفـر له حمـاقته . فقـال الشيخ : خـذه وغداً ننـظر في أمره .

وضـع عمـرو ابنـه المقـداد خـارج خيمـة شيـخ

القبيلة ، وهو يبكي . وكان المقداد يعرف جيداً نتيجة ما أقدم عليه ، ويدرك أن الموت هو عقاب من يشهر السيف في وجه شيخ القبيلة . لذلك لم يبطىء في اتخاذ القرار المناسب ، فقبل أن ينبلج الفجر ، وقبل أن تـطلّ نجمةُ الصبح تمنطق بسيفه وعلق قوسه ، وحمل الرمح واضعاً على رأسه متاعاً قليلاً ، وتسلل يضرب وجه الصحراء بقدمين هائمتين ثابتتين .

وما أن غمزت له نجمة الصباح مودِّعة ، وأرسل نور الفجر طلائعه حتىٰ كان قد ابتعد ، وهو يفكر في ما يجب أن يفعله. تسلل الفارس الشجاع إلى الصحراء ، وهو يفكّر في أن يلجأ إلى قبيلةٍ قويَّةٍ تعطيه العزة والمكانة بين العرب . وأية قبيلة يقصدها سوف ترحب به ، كيف لا ، وهو فارس لا يدانىٰ !

وقرر أن يحالف « كندة » ، القبيلة التي اشتهرت

بمنعتها بين العرب .

وكان ما أراده المقداد ، فقد حالفَ الأسودَ الكندي ، وصار حليفاً لبني كندة . ثم توفي أبوه ، ولحقت الأمُّ بابنها ، وتزوَّجت من الأسود الذي تبنىٰ المقداد ، وأصبح المقداد ابنه بالتبني ، وصار يدعىٰ المقداد بن الأسود الكندي .

ومضت أيّامه في مضارب بني كندة ، ولم تكن كما كان يتوقع ويريد ، فالحليف في جاهلية العرب يبقىٰ فاقداً لحقوقٍ كثيرة يتمتع بها أبناء القبيلة . وكانت نفسُ المقداد في هياج دائم ، يثور على التقاليد الجاهلية الخرقاء .

ودارت الأيامُ ، ووجدَ المقدادُ رفيقاً له يشاطره الرأي في الجاهلية المقيتة ، وهو عمار بن ياسر . . إلا أن عماراً كان قد انتشل نفسه من ظلام الجاهلية للتوّ ، ودخل في نور الإسلام الساطع ، فأنار له الطريق وانتهت عذابات نفسه الأبيَّة ، ولكنَّه لا يستطيع أن يصرِّح لرفيقه الجديد بالحقيقة ، فأمر الدّعوة مازال سراً لا يمكن البوح

بـه قبل الاطمئنـان . وبعد أن اطمـأن عمـار للمقـداد ، كشف له سرَّ سعـادته ، وهـداه إلىٰ سبيلها وإلى طـريق النور والصراط المستقيم ، واصطحبه في جوف الليل إلىٰ « دار الأرقم » ؛ حيث يجتمع المسلمون مع النبي (ص) سراً ، وهناك أعلن المقداد إسلامه .

تغيرت حياة الفارس المقدام ، بعد أن ملأ الإيمان قلبه وأضاء التوحيدُ بصيرته ، وهو ينهل من تعاليم الإسلام بنهم وشوقٍ شديدين ، يريد أن يروي ظمأه الذي عانىٰ منه طوال حياته التي كانت كتلك الصحراء القاحلة التي عاش فيها .

ومرت أيَّامُ الصبر والجهاد العظيمين فيّ تحمل أذىٰ قريش للرسول (ص) وأصحابه . وهاجر النبي (ص) ، ولم يكن بمقدور المقداد أن يهاجر ، فقد ربطه الحلفُ كما لو أنه أصبح عبداً لأبيه الأسود الذي تبناه . وانتظر المقداد الفرصة المناسبة . ولم تلبث أن حانت ، إذ تهيَّأ نفرٌ من قريش لمناجزة سرية حمزة وقتالها ، وادّعىٰ المقداد أنه ذاهب معهم لقتال حمزة والمسلمين ، وما أن التقىٰ الفريقان حتىٰ انضم المقداد إلىٰ صفوف المسلمين ، وجعل يقاتل المشركين الذين قدم معهم من مكة ، وهكذا تمكَّن من الإلتحاق بالرسول (ص) في المدينة . وفرح به الرسول ، فها هو الفارس الهمام يقدم إلى المدينة ، وها هو سيفه تتلظىٰ

شفرتاه شوقاً لقتال المشركين . وها هي فرسه « سبحة » التي فرّ بها والتي استعاض بها عن المهرة الشقراء ، حلم صباه ، تدكُّ الأرض بحوافرها ، فلا أرض تريحها سوى ساحة الوغىٰ ، تريد قتال المشركين وقد نفذ الصبر . ولم يطل الإنتظار طويلاً فقد استعدَّت قريش لقتال الرسول وجاءت بجيشٍ كبيرٍ يفوق عدد المسلمين بأضعاف المرات ، وكان فرحُ المقداد واستبشاره عظيماً ، ووقف تلك الوقفة التي يشهد له بها التاريخ ؛ حيث قال للرسول (ص) :

ـ أبشر يا رسول الله ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ : إذهب أنت وربّك فقاتلا ، إنّا هنا قاعدون . ولكنّا ، والذي بعثك بالحق ، نقول : إذهب وربّك فقاتلا وإنا معكما مقاتلون . . .

وفي ميدان بدر ، وقد حمي وطيس المعركة واشتد
أوارها والمسلمون قليلو العدد شديدو الإيمان والعزيمة ،
والمقـداد يصول ويجـول على فرسـه « سبحة » التي لم

تكن أقـلّ منه حمـاسة واقـدامـاً ، ولم تخـذلـه يـومـاً ،
وضربات سيفه البتار لا تخيب أبداً .

في معركة الإسلام الأولى ، تلك التي انهزم فيها المشركون شر هزيمة ، عرف المسلمون فارساً تشتدُّ به عزائمهم انه المقداد فارس الإسلام .

وكان لتلك المعركة فائدة كبرى للمقداد . فقد تعلم فيها الكثير ، وأهم ما تعلمه هو أن الفروسية في الإسلام غيرها في الجاهلية ، فالدفاع عن الحق غير الدفاع عن الباطل ، والقتالُ عن مبدأ وعقيدة له طعم آخر ولذة ما بعدها لذة . .

أجل انه الجهاد ، وليس الغزو للسلب والنهب والسبيّ . .

انه الجهاد في سبيل الله ؛ حيث ينذر المجاهد حياته ، ودمه لله عزّ وجلّ ، علىٰ أن يفوز الفوز الأكبر ، الفوز الذي لاْ يحظىٰ به إلا مجاهدو الإسلام وأبطال الإيمان ، وهو الفوز بإحدىٰ الحسنيين فإما النصر علىٰ الأعداء وإما الشهادة ، وهي أقصر الطرق إلىٰ الجنة .

وفيما هو لا يكلّ من متابعة أخبار المشركين ، ويترقب بفارغ الصبر قتالهم من جديد ، جاءت معركة أُحد ، وكان في ساحتها بطلاً مغواراً كما يعهده الجميع ، يخوض غمار الحرب كما لو أنه في نزهة ممتعة ، وفرسه « سبحة » تصهل مبتهجة كأنها في عرس . وانهزم المشركون . ثم وقعت البلبلة حينما خالف بعض المسلمين أوامر النبي ، وتركوا مواقعهم ليأخذوا حصتهم من الغنائم التي تركها المشركون وراءهم . فما كان من المشركين إلا أن جمعوا فلولهم وعادوا من الخلف لقتال المسلمين . فوقف المقداد مع نفر قليل من الصحابة يدافعون دفاع المستميت عن النبي (ص) ، ويذبّون بأرواحهم وأجسادهم عنه . ونَصَر الله المسلمين وكانت الشجاعة التي أبداها المقداد منقطعة النظير ، ولا توصف . لكن المقداد لن ينسى ما عاش ، وإلىٰ أبد الدهر ، تلك اللحظات الخطيرة التي كادت تودي بحياة النبي (ص) لذلك قرر أن لا يفارقه

طـرفة عين أبـداً ، وان يحرسـه ليـلاً نهـاراً حتى يكـون كظله ، وبذا استحق لقب « حارس النبي » .

وتكـريماً لـه ولشجاعتـه وبطولاتـه وإيمانـه المتين وتفـانيه في خـدمة الـرسالـة واعـلاء كلمـة الله ، زوّجـه النبي (ص) ابنــة عـمــه ضبــاعــة بـنت الــزبيــر بن عبد المطلب . وكم كانت فرحة المقداد ، بهذه الزوجـة الطاهرة وبقـرابته من رسـول الله عظيمـةً ، بحيث جعلته يولد من جديد وينسىٰ كل معاناته .

وطـاب للمقداد العيش وهنؤت أيـامه مـع زوجتـه التقية ، ولكن ذلك كله لم ينسه للحظة واحدة أنه مقاتل نذر نفسه في سبيل الله . . . لذلك لم تفته غزوة أو حربٌ من حروب المسلمين إلا وخاض غمارها .

وعـاش سنيّ الـرسـالـة يتـذوق نشـوة انتصــارت الإسلام ، ويشهد بناء دولته في عهد الرسول .

وظل هكذا إلىٰ أن جاء ذلك اليوم الذي عرف فيه المقداد الحزن والألم ولوعة الفـراق ، لأول مرة . فقـد تُوفّي الرسول الأكرم . وكان تعلق المقداد به يفوق كـل

تصور وهو لن يطيق الحياة من بعده . .

وعاش المقداد بعد ذلك يدافع عن وحدة المسلمين ، ويبذل قصارىٰ جهده في بناء المجتمع الإسلامي الصالح الذي أراده رسول الله (ص) .

وبعد مضي فترة من الزمن ، استعاد المقداد روح الشباب التي لم تفارقه رغم تقدمه في السن ، فعاد إلىٰ الجهاد وركوب فرسه « سبحة » وحمل السيف والرمح في الفتوحات الإسلامية لنشر دعوة الله ، وكان هذا ما يعيد إليه زهو الفتوَّة .

وعاد المقداد إلىٰ المدينة يتابع جهاده بالكلمة والسيف . فالتحق ، وهو في الثامنة والستين من عمره ، بجند الإسلام ، وشارك في فتح قبرص ليختم حياته بالبطولات والفخر كما بدأها . وحينما عاد من ساحة الوغىٰ ، وسيفه مضرّج بدم الكفار ، راح يشارك إلى جانب الصحابة في حل المشكلات المستجدة .

وهكـذا أمضى أواخر أيـام حياتـه يجاهـد بكلمـة
الصدق والإخلاص لرسالة الإسلام ، ويـدافع عن الحق

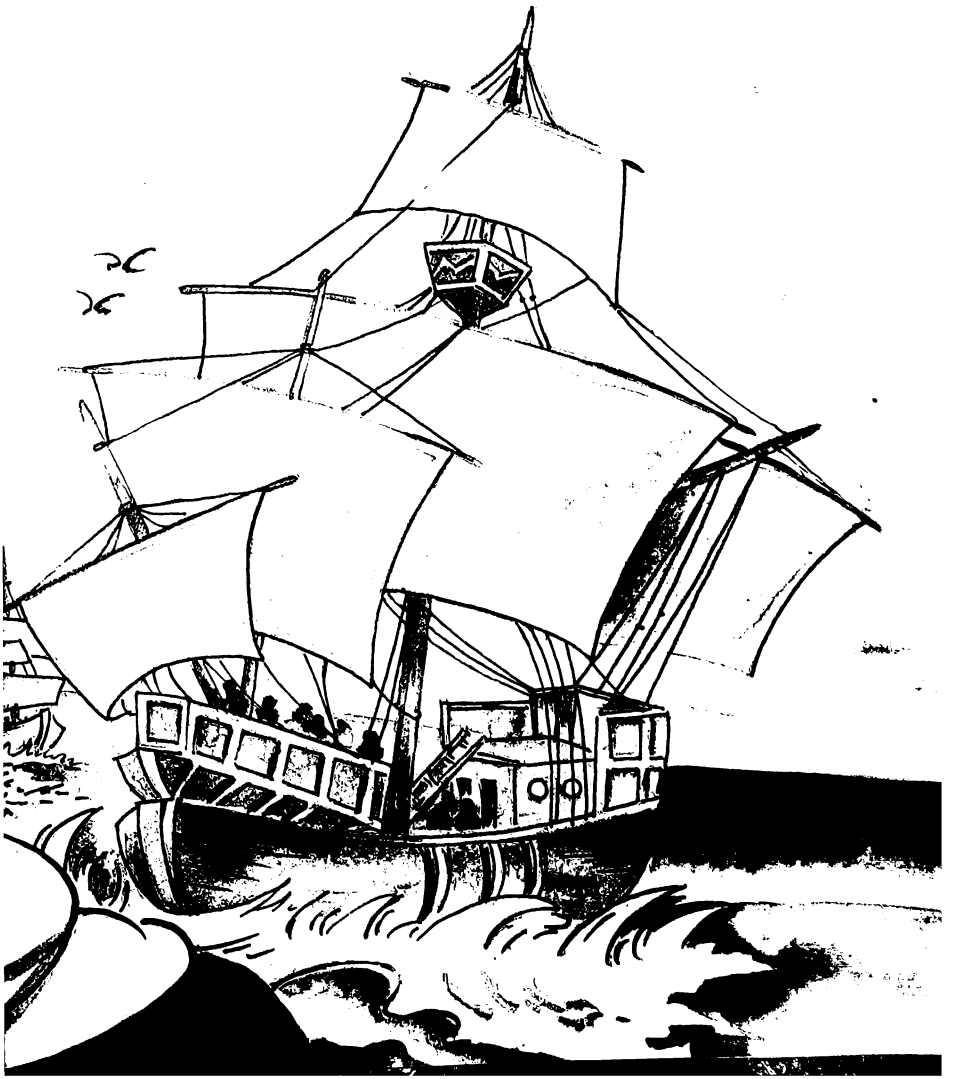

من دون أن يكلّ أو يمل إلىٰ ان دنا ذلك الموعد الذي طال انتظاره . وأذنت شمس حياته الساطعة بالمغيب . . . وما هي إلا أيام حتىٰ أودع روحه الطاهرة بين يدي ربّه ، والقرآن الكريم في يديه ، والذكر والإستغفار علىٰ لسانه ، وإلى جانبه سيفه البتار يستريح . وكان ذلك عام ٣٣ هـ ، وهو في السبعين من عمره .